تتوقف مطالبة الفلسطينيين بسبب هذا الواقع . والحق انه ليس من المستحيل ان تتصاعد هذه المطالبة وان تتمكن من التوصل الى صدام عسكري . ولا يجوز ان ننسى ان كل صدام عسكري للفلسطينيين وحدهم مع اسرائيل هو صدام صعب، لكونهم لا يستطيعون الانطلاق الا من قواعد واقعة في البلدان المجاورة ، ولانه اذا كان هناك سلام فعلي ، فان اسرائيل يمكنها بكل وضوح مطالبة الدول المجاورة بعدم تقديم قواعد كهذه . وربما تستطيع الحركة ان يكون لها قاعدة داخلية في الاراضي الواقعة تحت سيطرة اسرائيل . ولكن في الحالة التي رسمت خطوطها الكبرى ، حالة قيام انتفاضة خطيرة فعلا على اسرائيل ومتطورة داخل حدودها ، فان اسرائيل تملك سلاحا يبدو انه لا مرد له : انه امكان طرد كل او على الاقل اكثرية السكان العرب » .

بعد هذا الغوص في التصورات ، والابتعاد عن رؤية الواقع الصدامي بين العرب والاسرائيليين ، يقفز رودينسون الى نقد التصور العربي واليساري عن الامبريالية الاسرائيلية ، واصفا اياه بأنه « تصور اسطوري للامبريالية » . ولكن ما هو مستنده فيما يقول ؟ « انه استعمال الامبريالية بدلا من استعمال تعابير واضحة مثل الحكومة الاميركية ، الاقتصاد الاميركي ، الاقتصاد الرأسمالي ، الحلف الاطلسي الخ » . فهل اطلع الاستاذ رودينسون على الادبيات العربية واليسارية حتى يصدر مثل هذا الحكم المبتسر ؟ وما هي المواقف — الاهداف التي يريد بلوغها ؟

يقول « اذن يمكن الاعتبار بتحفظ ان البلدان العربية خاضعة لتهديد امبريالية اقتصادية اسرائيلية في حالة السلام ، ولتهديد امبريالية اسرائيلية سياسية في حالة استمرار الوضع الحربي . انهم يستطيعون الخلاص من الامبريالية السياسية اذ يعقدون السلام وفقا لشروط اسرائيل ، اي بقبولهم الاستسلام لنتائج امبريالية سياسية سابقة ، والا فان استمرار حالة الحرب يفرض عليهم في آن واحد خطر توسع مقبل اكثر عمقا وضرورة تكريس جزء هام جدا من مواردهم للجيش، وهذا يضغط ضغطا واضحا على امكاناتهم الانمائية أي على استقلالية تقريرهم الاقتصادي . وفي حالة السلم ، سواء قبلوا الشروط الاسرائيلية الراهنة ام اعتدلت هذه الشروط واصبحت مقبولة من جانبهم في المستقبل ، فان الدفاع ضد الامبريالية الاقتصادية الاسرائيلية قد يكون بكل وضوح اكثر سهولة بكثير ، ولربما سينحصر في بعض تدابير الحماية » . وهذا يعني بكل بساطة : استسلموا لاسرائيل سياسيا حتى تسلموا اقتصاديا . ولكن هل لهذا الكلام من معنى ؟ ان سبب كل هذا التناقض في منطق رودينسون يعود الى فصله الاعتباطي ما بين الاقتصادي والسياسي ، وهذا منطق غير ماركسي وغير يساري على الاطلاق . ولكن رودينسون يستمر في استعراض جميع الاحتمالات الممكنة ، وهنا لا يستبعد حالة الانتصار الشامل للعرب على اسرائيل ولكنه سرعان ما يستدرك : « الا انه يبدو ان افقا كهذا ليس له ادنى حظ في ان يتحقق في مدى من الزمن يدخل في توقعاتنا وحساباتنا . اذن لن نأخذه بعين الاعتبار هنا » . ويعود الى احتمال آخر : تبدل البنى الداخلية لدولة اسرائيل ، بحيث يصل الى الحكم فيها جماعة تطبق « استراتيجية سلمية » . وماذا يعني بذلك ؟ « يعني بذلك استراتيجية سياسية ترمي الى تحقيق هدف اسرائيل الاول ، وهو اعتراف الدولة المجاورة بها ، كتشكيل شرعي ، بواسطة اساليب تستبعد الحرب وضغط القوة العسكرية كأسلحة رئيسية. ومن دلائل هذا التوجه مثلا التفاوض على اساس الانسحاب من الاراضي المحتلة في حزيران ١٩٦٧ مقابل الاعتراف بها...». وهذا يعني ان رودينسون لا يرى حلا آخر لمشكلة فلسطين سوى الحل الاسرائيلي ، وانه يستبعد كليا آفاق الحل العربي والفلسطيني . ويعتمد في موقفه هذا على ما يسميه « ازالة صهيونية اسرائيل» (désionization d'Israël). ولكن هل من المحتمل ان تخرج اسرائيل من صهيونيتها ؟ وهل يفترض بالعرب عامة ، والفلسطينيين خاصة ان ينتظروا حدوث مثل هذا الخروج ، مثلما كان اليساريون الفرنسيون ذوو الاستعلاء على نضال الشعب الجزائري يطلبون منه انتظار معجزة يسار المتروبول ؟ أليس كفاح العرب والشعب الفلسطيني ضد الصهيونية هو الذي يزيل صهيونية اسرائيل بالتحديد ؟

٢ — استشهادات أخرى عن القضية الفلسطينية:

ان ما عرضناه حتى الان ، ربما يشكل صلب الرؤية السياسية عند رودينسون فيما يختص بعلاقة فلسطين بالاستقلال العربي ، وبوحدة العرب التي يعتبرها « احتمالا من بين عدة احتمالات » وهي